مجلة العميد

Journal Homepage: https://alameed.alameedcenter.iq/
ISSN: 2227-0345 (Print) ISSN 2311-9152 (Online)

الامام الباقر عليه السلام ت١١٤ هـ ودوره في مواجهة الانحرافات الأخلاقية

داود سلمان خلف [١]

١-جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ،العراق؛
dawood.alzubaidy@yahoo.com
دكتوراه في التاريخ الإسلامي / استاذ

تاريخ الاستلام:
٢٢/ ٤/ ٢٠٢٢

تاريخ القبول:
١٩/ ٥/ ٢٠٢٢

تاريخ النشر:
٣٠/ ٦/ ٢٠٢٢

الكلمـات المفتاحيـة:
الإمام الباقر عليه السلام،
المدرسة الفكرية،
الإنحراف الفكري،
الإنحراف الأَخلاقي

الملخص:

يتناول هذا البحث مقدمات انشغال الدولة الأَمويَّة بصراعاتها الداخلية ومواجهة الثورات المضادة لها وانغماسها في الترف الذي انعكس سلبا على سلوكيات المجتمع الإِسلامي فضلا عن الاستبداد والظلم .

عمل الإِمام الباقر عليه السلام على إِصلاح المجتمع الإِسلامي مستثمرا انشغال الأَمويين وذلك بمسارين مهمين . المسار الاول : المسار العلمي الذي تمثل بتأسيس مدرسة أَهل البيت الفكرية اما المسار الآخر : فهو الذي تمثل في مواجهة مظاهر الإِنحراف الأَخلاقي والإِقتصادي فضلا عن الفكري، معتمدا على نخبة من المريدين وطلاب العلم الذين أَسهموا في نشر علوم الإِمام عليه السلام فضلا عن وصاياه .

المجلد (١١) العدد (٤٢)

DOI:
10.55568/amd.v11i42.17-30

CC BY NC

Imam Al-Baqar and his Role in Confronting Moral Deviation

Dawood Salman Khalif [1]

1-University of Baghdad, College of Education Ibn Rushd, Dept of History, Iraq;
dawood.alzubaidy@yahoo.com
PhD in Islamic History / Professor

Received:
22/4/2022
Accepted:
19/5/2022
Published:
14/7/2022

Keywords:
Imam Al-Baqr (peace be upon him), the school of thought, intellectual, deviation, moral deviation.

Al-Ameed Journal

Volume (11)
Issue (42)

DOI:
10.55568/amd.v11i42.17-30

CC BY NC

Abstract

This research, Al-Baqr and His Role in Confronting Moral Deviation, discusses the indulgence of the Umayyad Caliphate in its internal struggles, in quashing the rebellions against it and in reveling in in luxury. Such casts a negative impact on the Islamic community and does injustice and tyranny.

Al-Imam Al-Baqr works on reforming the Islamic nation makes use of the Umayyad indulgence in the abovementioned acts in taking two ways: the first is a scientific way of founding the Ahalalbayt intellectual school and the second is to face the aspects of the intellectual, economic and moral deviation depending on those who want staunchly to change and scholars who contribute to spreading sciences and the teachings and recommendations of Al-Imam al-Baqr (peace be upon him).

المقدمة

وصلت الدولة الأَمويَّة في عصر الإِمام الباقر عليه السلام الى مديات متقدمة على طريق انهيارها بعد عهود من الإِستبداد والظلم والإِنقسام، فبعد ان استقر الأَمر لمعاوية بن أَبي سفيان وقبل ان يمهد الطريق لولاية العهد لابنه يزيد عمل على اغتيال الإِمام الحسن عليه السلام بواسطة دسِّ السمِّ إِليه [١] ولَمَّا خلفه ابنه يزيد قام بقتل الإِمام الحسين عليه السلام وثلَّة من أهل بيته وأصحابه الميامين عليهم السلام في واقعة الطف الأَليمة سنة ٦١ هـ التي كانت مرحلة فاصلة في مراحل التاريخ الإِسلامي.[٢]

فضلاً عن ذلك كانت وقعة الحرة [٣] وما رافقها من استباحة لمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله،وما رافق ذلك من فضائع بيَّن بها لا لبس فيه ان الصراع بين علي بن أَبي طالب وولده عليهم السلام وبين بني أُمية لم يكن صراعاً هاشمياً أَموياً كما تصور ذلك العديد من المصادر الإِسلامية وتؤصل له [٤] بل كان واضحاً ان الصراع كان بين من يمثل استمراراً لمنهج النبوة ومن يمثل منهج القبيلة وهذا ما كان واضحاً في سيرة الحكام الأَمويين لاحقاً .

فضلاً عن ما تقدَّم فما حصل من حصار لمكة المكرمة وضربها بالمنجنيق [٥] قام به الإِبن البار للأمويين الحجاج بن يوسف الثقفي [٦] الذي لم يكن الَّا سيفا جورا مسلَّطا على رقاب الرعية.

وزيادة على ما تقدم فإن الصراعات الداخلية للأسرة الأَمويَّة بعد تنازل معاوية بن يزيد بن معاوية عن الحكم [٧] واستقرار الملك لمروان بن الحكم وبنيه من بعده .

ان الإِسلام الحنيف بعد ان أَطل بنوره الساطع وحرَّر الناس من رقِّ العبودية وجعلهم سواسية كأسنان المشط يتذوقون حلاوة العدالة الإِسلامية ولاسيما في الصدر الأَول من الحكم الإِسلامي، عاد فتحول الى شكل آخر بعد التسلط الاموي الذين استثمروا الفتوح والانسياح في البلدان لجلب الرقيق والعبيد واغتنام الأَموال مما أَسهم إسهاما فعالاً في زيادة الانقسام الاجتماعي والإِنحراف الفكري

١ اليعقوبي : تاريخ، ج٢ ص١٥٦ ؛ المسعودي: التنبيه والاشراف ص ٣٠١
٢ اليعقوبي : تاريخ، ج٢ ص١٦٩-١٧١ ؛ المسعودي : التنبيه والاشراف ص٣٠٣
٣ اليعقوبي : تاريخ، ج٢ ص١٧٤ - ١٧٥
٤ ابن حبيب : المنمق ص٩٠- ٩١، ٩٧ -١٠٠
٥ اليعقوبي : تاريخ ج٢ ص١٧٥-١٧٦، ١٨١-١٨٦
٦ المسعودي : كتاب التنبيه والاشراف ص٣١٤-٣١٥ ؛ المسعودي : اثبات الوصية ص ١٨٢-١٨٣ ؛ المسعودي :مروج الذهب ج٣ ص١٦٦-١٦٧
٧ اليعقوبي : تاريخ، ج٢ ص١٧٧ ؛المسعودي كتاب التنبيه والاشراف ص٣٠٦-٣٠٧ ؛ المسعودي : مروج الذهب ج٣ ص٢٣٢

والأَخلاقي والإِقتصادي في الدولة إذ ساد التمايز الطبقي في المجتمع الإِسلامي بأوسع اشكاله.

إِنَّ الحكام الأَمويين سرعان ما اقتبسوا مظاهر الترف والأبهة الامبراطورية لوسم بلاطهم[٨] بها مما انعكس سلباً على قيم المجتمع آنذاك، ومما أسهم في ذلك أيضاً كثرة الأموال الواردة من البلدان المفتوحة فضلاً عن العبيد والموالي والجواري الذين ازدادت اعدادهم في حواضر الامصار الإِسلامية آنذاك كالمدينة ومكة والكوفة و واسط والبصرة والقيروان والشام .

كان انشغال الأَمويين في صراعاتهم الداخلية [٩] وقمع الثورات التي داهمتهم [١٠] فرصةً مهمةً للإمام الباقر(عليه السلام) التي لم تتهيأ لمن سبقه من الأَئمَّة الأَطهار لنشر علوم أَهل البيت(عليهم السلام) فضلاً عن مواجهة الإِنحرافات الفكرية من خلال اطروحات أَكَّد فيها التوحيد في مواجهة الفرق الضالة فضلاً عن تعليم سيرة الرسول(صلى الله عليه وآله) ومغازيه وبيان أَحكام القرآن الكريم واستنباط الأَحكام الشرعية. [١١]

وممَّا مثّل مساراً مهماً من مسارات المواجهة مع الحاكمية الأَمويَّة، مواجهة الإِنحراف الأَخلاقي في المجتمع الإِسلامي عامة ومجتمع الجزيرة العربية خاصة؛ لما يمثله من مرتكز وقبلة تشخص إِليها انظار المسلمين من كلَّ حَدبٍ وصوب.

مهَّد الإِمام الباقر(عليه السلام) لذلك كلِّه باختيار مريدين خُلَّص، ضمن فيهم صلاح العقيدة وصدق النية والإخلاص، فكانوا كما أراد وسيلة مهمة في نشر اطروحاته الفكرية في العلوم والتربية والمواجهة [١٢] .

وعى الإِمام الباقر(عليه السلام) وهو سليل النبوة وترجمان القرآن الكريم- أن مظاهر الترف كانت من أهم الأسباب التي أَسهمت في انهيار المنظومة القيمية للمجتمع الإِسلامي فضلاً عن التنازع والتخاصم، وما الإِنحراف الأَخلاقي والفكري الا نتاج الترف المؤدي الى الدعة والسكون والسلوكيات المنحرفة.

وهذا الأَمر تنبَّه له ابن خلدون (ت٨٠٨ هـ) لاحقاً اذ صاغ نظريته في نشأة الدول وانهيارها استناداً الى عوامل التقشف والبذخ والإِسراف وقيم العصبية القبلية مع انعكاس ذلك كله على وحدة المجتمع وتماسكه وذلك ليس من مجالات البحث هنا.[١٣]

---

٨ المسعودي :اخبار الزمان ص١١٢-١١٣
٩ اليعقوبي : تاريخ ج٢ ص١٧٨-١٧٩
١٠ اليعقوبي: تاريخ ج٢ ص١٧٤، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١
١١ هاشم معروف الحسني : سيرة الائمة : مج٢ ص١٩٤-١٩٥
١٢ هاشم معروف الحسني : سيرة الائمة : مج٢ ص١٩٦-١٩٧
١٣ ابن خلدون : (ت٨٠٨ هـ) المقدمة ص١٦٧-١٧٠

والسؤال الذي يتبادر لنا هنا؛ لماذا نحاول اليوم العودة لذلك التراث الثرّ للإمام الباقرعليه السلام الذي حاول من خلاله مواجهة الإنحرافات الفكرية والإقتصادية والأَخلاقية في المجتمع الإسلامي آنذاك

نرى ان استحضار سيّر الائمة الاطهارعليهم السلام والاحتفاء بولاداتهم وتواريخ استشهادهم إنما تشكل محطات مهمة لمواجهة الذات وتصحيح المسارات؛ اذ ان استلهام القيم الروحية والسلوكية التي خطها أئمة اهل البيتعليهم السلام يمثل محطات مهمة لإعادة البناء الفكري والسلوكي للإنسان في كل زمان ومكان ؛ إذ ان المتغيرات الفكرية والمادية على مر العصور تمثل مسارات مهمة في التأثير العقائدي والمتبنيات الفكرية والسلوكية للمجتمعات ومنها المجتمع الإسلامي .

ان على من يريد الهيام بمحبوبه هياماً سلوكياً أن يعبِّر عن ذلك من خلاله الالتزام بالمنهج الذي يجب عليه اتباعه، فكيف اذا كان هذا المحبوب اماماً معصوماً مفترض الطاعة من أَهل بيت النبوةعليهم السلام.

ويفرض على المتمسك بنهجهم سلوك هذا النهج قولاً وعملاً؛ لأنه يمثل طريق الخلاص ومجابهة كل التيارات المنحرفة والسلوكيات الضالة ووسائل الهدم وتفتيت وحدة المجتمعات الإنسانية .

إذ إِنَّ عرض المادة العلمية فقط من دون تأكيد التفكر والتدبّر الذي أمر به القرآن الكريم وحثَّ عليه للوصول الى حالة من الاندماج الفكري والسلوكي مع أَهل بيت النبوة سلام الله عليهم لن يوصلنا الى مبتغانا .

ومما تقدم يجد الباحث ان إعادة قراءة فاحصة للنصوص الفكرية والتربوية وللوصايا وللمقولات الواردة عن الإمام الباقر وآبائه وأولادهعليهم السلام توفِّر حصانة تامة للفرد والمجتمع أمام كل التحديات التي نواجهها اليوم .

إِنَّ كل الاطروحات التي تضمنتها تلك النصوص لم تكن تمثل حلولاً مرحلية لمشاكل آنية بل هي خطوط لبناء الانسان وتحصينه إزاء كل مغريات الحياة المادية وتشرع أمامه كل مسارات الرقي والارتقاء نحو الاندماج في ما أراده الله تعالى من بني آدم .

ان إعادة قراءة تلك النصوص توفر لنا ملاذاً وحلولاً مهمة لما نعانيه اليوم من غربة وهجمة مادية تحاول باسم الديمقراطية والتحضر والنظام العالمي الجديد تمزيق وحدة المجتمعات الإسلامية باستعمال الوسائل الالكترونية عامة ووسائل التواصل الاجتماعي خاصة للولوج في كلِّ الأماكن

المقفلة في البيئة الإِسلامية بدءاً من الفرد والأُسرة ووصولا الى المجتمع .

إِنَّ أعداء الإِسلام والمسلمين بدءاً من القرن الثاني عشر الميلادي هبوا لتعلم العربية ودراسة القرآن الكريم في بلاد الاندلس لمحاربة الإِسلام بعناصر قوته وهذا ليس من مجال البحث هنا الا ان الاشارة لذلك توضح لنا بما لا لبس فيه انَّهم مستمرون بمحاربته بمختلف الصعد لانهم على معرفة بانَّ سرَّ قوة المسلمين هو قرآنهم واسلامهم (مبادئ وروح) مع منظومة القيم التي توارثوها على مرَّ العصور، تلك التي استنبطوها من مبادئ دينهم الحنيف؛ لذا فإن أعداء الإِسلام والمسلمين اليوم يعملون على إشغالهم عن ذلك وهو السبيل الناجع للسيطرة عليهم.

قبسات من سيرة الإِمام الباقرعليه السلام:

هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أَبي طالب [١٤]

وكنيته أبو جعفر وأَلقابه ثلاثة : الباقر والشاكر والهادي وأشهرها الباقر [١٥] ولد في المدينة المنورة سنة ست وخمسين للهجرة في مطلع رجب وقيل في مطلع صفر [١٦].

وقيل سنة سبع وخمسين [١٧] أمه أُمّ عبد الله بنت الحسن بن علي بن أَبي طالب عليهما السلام [١٨]

وهو هاشمي من هاشميين وعلوي من علويين [١٩] .

عاصر الأَمويين حتى ملك هشام بن عبد الملك بن مروان [٢٠]

أدرك جده الحسين عليه السلام وبقي معه أربع سنين وحضر الطف [٢١] .

ترك سبعة أولاد بين ذكر وأنثى، أكبرهم الإِمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وبه كان يكنى، من زوجته فاطمة أو قريبة بنت القاسم بن محمد بن أَبي بكر المكناة أُمّ فروة وأُمّها أسماء بنت عبد الرحمن بن أَبي بكر [٢٢]

١٤ المسعودي : مروج الذهب ج٣ ص٢١٩ . المسعودي : اثبات الوصية ص١٨٧-١٩٣ . ابن الجوزي : صفة الصفوة ج١ ص٦٢-٧٣؛ ابن العماد الحنبلي :شذرات الذهب مج١ ص١٤٩

١٥ المفيد : الارشاد ص٢٤٥

١٦ المسعودي : مروج الذهب ج٣ ص٢١٩ ؛ العاملي، علي بن الحسين : المختار من حياة الائمة الابرار ج١ ص٥١٣ .

١٧ ابن سعد : الطبقات ج٥ ص ١٥٦ ؛ الشيخ المفيد : الارشاد ص٢٤٤ ؛ العاملي، علي بن الحسين : المختار من حياة الائمة الابرار ج١ ص٥١٣ .

١٨ الشيخ المفيد : الارشاد ص٢٤٥

١٩ سبط ابن الجوزي : تذكرة الخواص ج٢ ص٤٢٤ ؛ الشيخ عباس القمي : منتهى الآمال ص٤٧٠

٢٠ باقر شريف القرشي : حياة الامام الباقر ج١ ص ٦٨-٧١ ؛ هاشم معروف الحسني : سيرة الائمة مج٢ ص٩٩

٢١ الشيخ عباس القمي : منتهى الآمال ص٤٦٩ ؛ هاشم معروف الحسني : سيرة الائمة مج٢ ص١٨٧

٢٢ سبط ابن الجوزي : تذكرة الخواص ج٢ ص٤٢٣

قيل له الباقر لانه بقر العلم أي شقه وعرف أصله وخفيه وتوسع فيه [٢٣] .

توفي الإمام محمد الباقر عليه السلام سنة مئة واربع عشرة للهجرة في السابع عشر من شهر ذي الحجة وقيل في ربيع الأول وعمره سبعة وخمسون عاما ودفن في البقيع وقيل في سنة سبع عشرة ومئة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ومنهم من قال سنة ثماني عشرة ومئة [٢٤]

روايته ورواته:

روى الامام الباقر عن ابيه عن جده الحسين عن الامام علي عليهم السلام عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وقد عرفت هذه السلسة الحديثية بالسلسة الذهبية، كما روى عن جابر بن عبد الله الانصاري وغيره من الصحابة النجباء.

روى عنه أبو إسحاق السبيعي، والاعرج، والزهري، وربيعة برأي، وعمر بن دينار، وعطاء بن ابي رباح، وجابر الجعفي، وأبان بن تغلب، وروى عنه من الائمة الاعلام ليث بن ابي سليم، وابن جريح، وحجاج بن ارطأة وآخرين [٢٥] .

ومن اشهر تلامذته

أبان بن تغلب الذي كان مقدماً في كل فن من فنون العلم [٢٦] وهو الذي عوتب مرة في كثرة روايته عن الإمام الباقر عليه السلام فقال : ((كيف تلوموني في روايتي لرجل ما سألته عن شيء الَّا قال : قال رسول الله)) [٢٧].

وهذا مما يؤكد ان رواية أَهل بيت النبوة سلام الله عليهم هي من أَدق الروايات لارتباطها بالرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله عن الإمام عن آبائه .

وهو الذي أَمره الإمام الباقر عليه السلام بالجلوس في مسجد المدينة للافتاء بقوله : ((اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فإنِّي أَحب ان يرى في شيعتي مثلك)) [٢٨].

ومن تلامذته زرارة بن أَعين وكان مرجعاً في الفقه والرواية على مذهب أَهل البيت عليهم السلام، ومنهم محمد بن مسلم الثقفي ، ومحمد بن علي بن النعمان الملقب بمؤمن الطاق، ومنهم يزيد العجلي، وجابر

٢٣ ابن العماد الحنبلي :شذرات الذهب مج١ ص١٤٩

٢٤ ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٥٨ ؛ الشيخ المفيد : الارشاد ص٢٤٥ ؛ ابن الجوزي: صفة الصفوة ج١ ص٦٥ .

٢٥ الشيخ المفيد : الارشاد ص٢٤٦ ؛ ابو نعيم : الحلية ج٣ ص١٨٨ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب مج١ ص ١٤٩ ؛هاشم معروف الحسني : سيرة الائمة مج٢ ص ١٩١ .

٢٦ باقر شريف القرشي : حياة الامام الباقر –ع– ج١ ص١٩١ – ١٩٥ ؛ هاشم معروف الحسني : سيرة الائمة مج٢ ص١٩٧ ؛

٢٧ هاشم معروف الحسني : سيرة الائمة مج٢ ص١٩٧

٢٨ هاشم معروف الحسني : سيرة الائمة مج٢ ص ١٩٦

الجعفي، والفضيل بن يسار، وأبو بصير الآمدي، وعبد الله بن مكان، وأبان بن عثمان الأحمر، وحريز بن عبد الله، وعبد الله بن جندب، وعلي بن النعمان وصفوان الجمال[٢٩].

أقوال العلماء فيه :

وصفه الشيخ المفيد بقوله:

((لم يظهر عن أَحد من ولد الحسن او الحسين عليهما السلام من علم الدين والآثار والسنة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر عن أَبي جعفر عليه السلام وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء وفقهاء المسلمين وصار بالفضل علماً لأَهله تضرب به الأَمثال وتسير بوصفه الآثار والأَشعار))[٣٠].

وعنه أيضاً : ((وقد روى أبو جعفر عليه السلام أَخبار المبتدأ وأَخبار الأنبياء وكتب عنه الناس المغازي وآثروا عنه السنن واعتمدوا عليه في مناسك الحج التي رواها عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وكتبوا عنه تفسير القرآن وروت عنه الخاصة والعامة الأَخبار وحفظ الناس عنه كثيراً من علم الكلام))[٣١].

وصفه أبو نعيم في الحلية بقوله : ((ومنهم الحاضر الذاكر، الخاشع الصابر، أبو جعفر بن محمد علي الباقر، كان من سلالة النبوة، ومن جمع حسب الدين والنبوة، تكلم في العوارض والخطرات، وسفح الدموع والعبرات، ونهى عن المراء والخصومات))[٣٢] .

وصفه ابن العماد الحنبلي بقوله : كان من فقهاء المدينة وهو أَحد الأَئمَّة الاثني عشر على اعتقاد الإِمامية))[٣٣]

كما نقل قول عبد الله بن عطاء بحق الإِمام اذ قال : ((ما رأيت العلماء عند أَحد أَصغر منهم علماً عنده))[٣٤].

٢٩ هاشم معروف الحسني : سيرة الائمة مج٢ ص١٩٦ -١٩٩
٣٠ الشيخ المفيد : الارشاد ص ٢٤٥
٣١ الشيخ المفيد : الارشاد ص ٢٤٧
٣٢ ابو نعيم : الحلية ج٣ ص١٨٠
٣٣ ابن العماد الحنبلي :شذرات الذهب مج١ ص١٤٩
٣٤ ابن الجوزي : صفة الصفوة ج١ ص٦٤ ؛ ابن العماد الحنبلي :شذرات الذهب مج١ ص١٤٩

الخلاص في سلوك الامام الباقر عليه السلام

سبق أن اشرنا الى ان الظروف التي تهيأت للإمام الباقر فضلا عن الإِمام الصادق عليهما السلام لم تتهيأ لغيرهما من الأَئمَّة عليهم السلام بسبب بوادر النقمة العارمة على سياسة الأَمويين والدعوة في مختلف البلدان للتخلص منهم مما دعا الأَمويين الى اتخاذ موقف من أَهل البيت عليهم السلام اكثر اعتدالاً مما كانوا عليه بالأمس [٣٥].

فضلاً عن ذلك فإن مظاهر الترف قد بلغت أوجها في البلاد الإِسلامية ((إذ وجدت زمن الباقر مجموعات عديدة لم تكن راضية عن حكامها فالمتدينون أَقلقهم بلا شك حال الأمور التي غرق فيها المجتمع . وقد مقتوا على نحو خاص أولئك الحكام الذين أسسوا من خلال اتباعهم نموذج حياة مترفة، مثالاً غير مرغوب فيه للآخرين مجيزين بهذا الشكل ما كرهه الدين))[٣٦].

((وكانت المدينتان التوأمتان، مكة والمدينة ولاسيما مكة قد تحولتا الى مركزين للترف والرفاهية انصبت فيهما الثروة والفتيات المغنيات من الأراضي المفتوحة وقد دفع هذا الأَمر بالكثير من الناس الى الانغماس في العاب من الزمن الغابر والنرد وفي عادات مثل شرب المسكرات والقمار)) [٣٧].

كان ردُّ الإِمام الباقر عليه السلام معبراً عن مسؤوليته الشرعية والأَخلاقية تجاه الامة التي كانت تنتظر منه وهو سليل النبوة، سبل الخروج من هذا السبيل المؤذن بخراب الامة الإِسلامية والعود بها الى سابق عهدها من الجاهلية فما كان منه الا ان تصدى وقاد حركة المقاومة السلمية لمظاهر الإِنحراف بوضع احكام للسلوك شاملة للأمور الدينية والأَخلاقية.

وهنا كان الإِمام الباقر عليه السلام قبلة لكثير من العلماء المسلمين وغير المسلمين الذين سعوا اليه يطلبون الحلول العلمية والسلوكية وفي ذلك كان القرآن الكريم والسنة النبوية الأصل الذي أطر من خلاله اطروحته في مواجهة كل مظاهر الإِنحراف الفكري والأَخلاقي الذي شهدته الامة.[٣٨]

ومما لابد من قوله هنا أنه ليس من موجبات البحث تناول أصول تأسيس المدرسة الفكرية؛ بل الاشارة الى سبل مواجهة الإِنحراف الأَخلاقي في المجتمع الإِسلامي؛ لذا فإن تركيز البحث سيكون على النصوص الواردة والمأثورة عن الإِمام الباقر عليه السلام والتي حاول من خلالها حثَّ مريديه وطلابه وعامة المسلمين على الاخذ بها والاستنان بها التزاماً بسنة جده المصطفى صلى الله عليه وآله.

٣٥ هاشم معروف الحسني : سيرة الائمة مج٢ ص١٩٤
٣٦ الرزينة ر. لالاني : الفكر الشيعي المبكر ص٢٨
٣٧ الرزينة ر. لالاني : الفكر الشيعي المبكرص٢٨
٣٨ ينظر : الرزينة لالاني : الفكر الشيعي المبكرص٣٠-٣١

فمن خلال ممارسة دوره في ((خدمة الإِسلام عن طريق الدفاع عن اصوله ومبادئه ونشر تعاليمه وأحكامه، ومناظرة الفرق التي انحرفت في تفكيرها واتجاهاتها، انصرف الإِمام عليه السلام للدفاع عن العقيدة ونشر تعاليم الإِسلام، فالتف حوله الالاف من العلماء وطلاب العلم والحديث من الشيعة وغيرهم))[٣٩].

فما كان منه الا استثمار هؤلاء في طرح مقولاته السلوكية جنباً الى جنب مع اطروحاته العلمية، إذ كان كثيرا ما يعمل بأسلوب العظة والوصية واستذكار اطروحات جده وآبائه في التمسك بالآخرة والتقوى والقيم الإِسلامية وبيان ما للمسلمين وما عليهم لدنياهم وآخرتهم وهنا حفلت المصادر الإِسلامية بكثير من الحكم والوصايا والمقولات التي تحث على الصلاح وحسن السيرة والابتعاد عن زخرف الدنيا، ومما نجده مهماً للاستذكار اليوم الاتي من المقولات التي يصف فيها الإِمام عليه السلام المسلمين وأحوالهم آنذاك وكأنه يتحدث بلغة الحاضر فما علينا الا التمسك بالقوانين السلوكية التي خطها لنا ؛ فإن صلاح الفرد يعني صلاح الاسرة وصلاحهما معاً يعني صلاح المجتمع .

نماذج مختارة من اقوال الإِمام الباقر عليه السلام مواجهة الإِنحراف الأَخلاقي

في حثه على الزهد يقول الإِمام الباقر عليه السلام:

((ما لك من عيشك الا لذة تزدلف بك الى حجامك وتقربك من يومك فأية أكلة ليس معها غصص! أو شربة ليس معها شرق ! فتأمل أمرك ؛ فكأنك قد صرت الحبيب المفقود، والخيال المخترم . أَهل الدنيا أَهل سفر لا يحلون عقد رحالها الا في غيرها))[٤٠]

وروى عنه ابن سعد بسنده عن جابر : ((قال لي محمد بن علي يا جابر لا تخاصم فإن الخصومة تكذب القرآن)) [٤١]

كما روي عنه في الخصومة قوله : ((اياكم والخصومة فإنها تفسد القلب وتورث النفاق)) [٤٢].

وروي عنه في حسن الخلق قوله : ((من أعطي الخلق والرفق فقد اعطي الخير كله والراحة وحسن حاله في دنياه وآخرته ومن حرم الرفق والخلق كان ذلك سبيلاً الى كل شر وبلية الا من عصمه الله تعالى))[٤٣].

٣٩ هاشم معروف الحسني : سيرة الائمة مج٢ ص ١٨٨-١٨٩
٤٠ المبرد : الكامل في اللغة والادب ص١١١
٤١ ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٥٦
٤٢ ابو نعيم : الحلية ج٣ ص١٨٤
٤٣ ابو نعيم الحلية ج٣ ص ١٨٦ -١٨٧

كما روي عنه قوله : ((ما من شيء أَحب الى الله عز وجل من ان يسأل، وما يدفع القضاء الا الدعاء، وأن اسرع الخير ثواباً البر، وأسرع الشر عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيباً ان يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه))[٤٤].

ومما روي عنه قوله : ((ما دخل قلب امرئ بشيء من الكبر الا نقص من عقله مثل ما دخل من ذلك ؛ قل ذلك أو كثر))[٤٥].

وفي وصفه لشيعته قوله:

((شيعتنا ثلاثة أصناف، صنف يأكلون الناس بنا، وصنف كالزجاج ينهشم وصنف كالذهب الأحمر كل ما دخل النار ازداد جودة))[٤٦]

فضلاً عن قوله : ((شيعتنا من اطاع الله عز وجل))[٤٧].

وروي عنه قوله : ((اذا رأيتم القارئ يحب الأغنياء فهو صاحب دنيا، واذا رأيتموه يلازم السلطان من غير ضرورة فهو لص))[٤٨].

ومن قوله في وصف الدنيا :

((ان المؤمنين لم يطمئنوا الى الدنيا لبقاء فيها، ولم يأمنوا قدوم الاخرة عليهم ولم يصمهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفتنة، ولم يعمهم من نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة ففازوا بثواب الابرار، ان أَهل التقوى أيسر أَهل الدنيا مؤونة وأكثرهم لك معونة إن نسيت ذكروك وإن ذكرت أعانوك، قوالين بحق الله، قوامين بأمر الله، قطعوا محبتهم بمحبة الله عز وجل ونظروا الى الله عز وجل والى محبتهم بقلوبهم، وتوحشوا من الدنيا لطاعة مليكهم، وعلموا ان ذلك منظور اليهم من شأنهم، فأنزل الدنيا بمنزلة نزلت به وارتحلت عنه، أو إكمال أصبته في منامك فاستيقظت وليس معك منه بشيء، واحفظ الله تعالى ما استرعاك من دينه أو حكمته))[٤٩].

٤٤ ابو نعيم الحلية ج٣ ص ١٨٨
٤٥ ابو نعيم الحلية ج٣ ص١٨٠
٤٦ ابو نعيم الحلية ج٣ ص١٨٣
٤٧ ابو نعيم الحلية ج٣ ص١٨٤
٤٨ ابو نعيم الحلية ج٣ ص١٨٤
٤٩ ابو نعيم الحلية ج٣ ص١٨٢

ومما روي عنه قوله :

((البشر الحسن، وطلاقة الوجه مكسبة للمحبة وقربة من الله وعبوس الوجه وسوء البشر مكسبة للمقت وبعد من الله))[٥٠]

ومما تقدم نجد انَّ الإِمام الباقر﵇كان قد نهج على نهج أَبيه الإِمام علي بن الحسين زين العابدين ﵇في مقارعة السلطة الأَمويَّة الحاكمة، فإذا كان الإِمام السجاد﵇قد نهج الدعاء وسيلة مهمة للتأثير في المسلمين وبيان حقوق الرعية وتفويض أَمرها الى الله تعالى؛ فها نحن نجد انَّ الإِمام الباقر﵇وبعد ان شرع بتأسيس المدرسة الفكرية المبكرة مستنداً الى ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية مترجما لها ومفسراً ومبيناً لأحكام الله تعالى ومنهاج النبوة نجده يستخدم العظة والوصية بعد الدرس والشرح، وسيلة للحث على تجنب الخصام والمخاصمة طريقا ومنهجاً للخلاص والوصول الى المقاربات الفكرية بين المتنازعين من المسلمين فكراً وحث الخاصة والعامة على الالتزام بالثوابت السلوكية التي حدد مساراتها الرسول الكريم محمدﷺحديثاً وسيرة إذ كان غالباً ما يدعوا للتقوى فهي مفتاح كل خير والرفق والخلق والبر وتجنب البغي والكبر ومجالسة الأغنياء وأرباب السلطة من قبل العلماء الا لضرورة .

٥٠ ابن شعبة الحراني : تحف العقول ص٢١٧

الاستنتاجات:

-شهد عصر الإمام الباقر عليه السلام ترفاً اقتصادياً و وفرة مالية أسهما في انتشار مظاهر الإنحراف الفكري والأَخلاقي في المجتمع الإسلامي.

-نهج الإمام الباقر عليه السلام منهجاً ذا مسارين لمواجهة الإنحرافات التي شهدها عصره الأول: المنهج العلمي والثاني: المنهج السلوكي.

-حرص الإمام الباقر عليه السلام على اختيار النخبة المحيطة به والمقربة منه ممن امتازت بالعلم والتمسك بالمنهج النبوي الأصيل ولم يلتفت لقيم المجتمع التي تعتمد قيم البداوة في تقريب رؤساء القبائل و وجوه القوم، وفي ذلك احياء لسيرة جده المصطفى صلى الله عليه وآله.

-حرص الإمام الباقر عليه السلام على نشر مبادئ التوحيد والحث على الالتزام بالسيرة النبوية العطرة فكراً وسلوكاً لمواجهة الإنحرافات الأَمويَّة.

-لم يجد الإمام الباقر عليه السلام حرجاً في البراءة من كلِّ من التصق به وانحرف عن المسار الذي خطه لأتباعه و مريديه الأَمر الذي وسم مدرسته الفكرية ومبادئه الأَخلاقية بالتميز والابداع.

المصادر والمراجع:

ابن الجوزي، جلال الدين ابو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٧٩ هـ). ٢٠١٣. صفة الصفوة: تحقيق ابو عمرو الاثري. د.ط. مصر: دار الغد الجديد.

ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩ هـ). د.ت. شذرات الذهب في اخبار من ذهب. د.ط. بيروت: دار احياء التراث العربي.

ابن حبيب، محمد البغدادي (ت٢٤٥ هـ). ٢٠١٠. كتاب المنمق في اخبار قريش. د.ط. بيروت: عالم الكتب.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ). ١٩٧٨. مقدمة ابن خلدون. د.ط. بيروت: دار القلم.

ابن سعد محمد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ). د.ت. الطبقات الكبرى. د.ط. بيروت: دار احياء التراث العربي.

ابن شعبة الحراني، ابو محمد الحسن بن علي (ت ق ٤ هـ). ١٩٧٤. تحف العقول عن آل الرسول ﷺ. ط٥. بيروت: مؤسسة الاعلمي.

ابو نعيم الاصفهاني، احمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ). ١٩٨٨. حلية الاولياء وطبقات الاصفياء. د.ط. بيروت: دار الكتب العلمية.

الحسني، هاشم معروف. د.ت. سيرة الائمة الاثني عشر. ط٧. بيروت: منشورات الامام الرضا.

د.ت. مروج الذهب ومعادن الجوهر. د.ط. بيروت: دار الاندلس.

الرزينة ر. لالاني. ٢٠٠٤. الفكر الشيعي المبكر، تعاليم الامام محمد الباقر. د.ط. بيروت: دار الساقي.

سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزغلي (ت ٦٥٤ هـ). ١٤٢٦هـ . تذكرة الخواص من الامة بذكر خصائص الائمة: تحقيق : حسين تقي زادة. ايران.

العاملي، علي بن الحسين (ت ١١٣٥ هـ). ٢٠١٥. المختار من اخبار الائمة الابرار: تحقيق : الشيخ عبد الحليم عوض الحلي، السيد خالد الغريفي الموسوي. د.ط. العراق: العتبة الحسينية المقدسة.

القرشي، باقر شريف. ١٩٧٨. حياة الامام الباقر عليه السلام. د.ط. النجف الاشرف: مطبعة القضاء.

القمي، الشيخ عباس. د.ت. منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل. د.ط. كربلاء: المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية.

المبرد، ابو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ). ٢٠١٢. الكامل في اللغة والادب. د.ط. بيروت: دار احياء التراث العربي.

المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ). ٢٠١٣. اخبار الزمان وعجائب البلدان، خالد علي نبهان. د.ط. مصر: مكتبة النافذة، دار طيبة.

المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي،٢٠٠٩. اثبات الوصية. ط١. النجف الاشرف: دار الاندلس.

المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي. ١٨٩٣. التنبيه والاشراف. د.ط. ليدن: مطبعة بريل.

المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت٤١٣ هـ). ٢٠١٢. الارشاد في سيرة الائمة الاثني عشر. د.ط. بيروت: دار الجوادين.

اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر بن واضح (ت ٢٩٢ هـ). ١٤٢٥هـ . تاريخ اليعقوبي. د.ط. قم: مطبعة شريعت.